

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[374] لقد تربع على عرش الإستبداد سنين طوالاً، ولم يكن يترقب من الناس أن لا يسجدوا أو يقوموا بعمل دون إذنه فحسب، بل كان ترفُّه أن تكون قلوب الناس وأفكارهم مرهونةً به وبأمره، فليس لهم أن يفكِّروا دون إذنه!! وهكذا هي سنة الجبابة والمستكبرين!. هذا المغرور الطائش لم يكن مستعداً لأن يذكر اسم الأ ولا اسم موسى، بل اكتفى بالقول (آمنتم له)! والمراد من هذا التعبير هو التحقير!! إلا أن فرعون لم يقنع بهذا المقدار، بل أضاف جملتين أخريين ليُثبَّت موقعه كما يتصور أو لا، وليحول بين أفكار الناس اليقطين فيعيدهم غفلةً نياماً. فإتهم السحرة أو لا بأنهم تواطؤوا مع موسى (عليه السلام) وتآمروا على أهل مصر جميعاً، فقال: (إنَّه لكبيركم الذي علمكم السحر). وقد اتفقت مع موسى من قبل أن تردوا هذه الساحة، فتضلوا أهل مصر وتجرَّوهم إلى الخضوع تحت سيطرة حكومتكم; وتريدون أن تطردوا أصحاب هذا البلد وتخرجوهم من ديارهم وتُحلِّوا العبيد محلهم... إلا أنني لا أدعكم تنتصرون في هذه المؤامرة، وسأخنق المؤامرة في مهدها (فلسوف تعلمون لأُقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولاُصلبنكم أجمعين). أي: لا أكتفي بإعدامكم فحسب، بل أقتلكم قتلاً بالتعذيب والجزر بين الملأ العام، وعلى جذوع النخل، (لأن قطع الأيدي والأرجل من خلاف يؤدي إلى الموت البطيء، فيذوق معه الإنسان التعذيب أكثر). وهذه هي طريقة الجبابة والحكّام الظلمة في كل عصر وزمان، ففي البدء يهتمون الرجال المصلحين بالتآمر ضد الناس، وبعد الإستفادة من حربة التهمة يعملون السيف في رقاب ليضعف موقع المطالبين بالحق ولا يجدوا معاضداً لهم، فيزيحوهم من طريقهم. إلا أن فرعون لم يحقق هدفه هنا، لأن السحرة قبل لحظة – والمؤمنين في هذه